محاضرة أ.م.د لؤي صيهود التميمي

للدراسات العليا ماجستير /ادب

التلوين الصوري

دلالة الالوان

الالوان في اللغة العربية اولى العرب اهمية كبيرة للالوان منذ قديم الزمان، وذلك لانها احدى وسائل التمييز البصري بين الاشياء كما ترتبط بشكل وثيق باللغة وبالشاعر لعل من اهم المشاهد الحسية نظر لها الشعراء وشكلوها في لوحاتهم الشعرية في المراة ما يشكل وجودها المادي من الالوان اذ تفننوا في استخدمها.

من ابرز الالوان التي شغف بذكرها الشعراء في موضوع الغزل اللونين الابيض والاصفر عندما يمتزجان لوناً يضع كيان المراة الجسدي.

وعبر استخدام اللون حقيقة او مجازاً توسعت دلالته وصارت عناصره صورة جمالية في وصف المراة ما دفع المرزوقي الى القول :بان هؤلاء الشعراء قد يسببون بالبيض والسود والصفر، الامر الذي يعني ان البياض الذي كان الغالب في وصف النساء ليس بالضروري بياضاً على الحقيقة.

واطلاقهم اللون الابيض اطلاقاً حقيقياً في موضوع الغزل وكان هذا الاطلاق مستنداً ما ظهر في جسم المراة لما تمتاز به المراة الاندلسية فهي بيضاء منسجمة محجبة لا تقوم بالاعمال اليديوة خارج الدار تحت الشمس هيفاء بخنق خصرها عن سوارها ناعسة العينين فاترة الطرف تشير الفتور في العاشق ذات نظرة صارمة، فكل شيء في بيئة الاندلس الجميلة

يغرى بالحب ويدعو الى الغزل ومن ثمة لم يكن امام تلك القلوب الشاغرة الا ان تنقاد لمواطنها فاحبت وتغزلت ثم غلقت وراءها فيضاً من شعر الغزل الجميل.

يوم رئقت فيه الحميا واللمى فشربت خمر زجاحة واقاح

وقد قرن ابن الزقاق في هذه البيت المفردات الخمرية مع صور شفاه حبيبة ليحاكي من خلالها رغبته النفسية واثر الخمر واقترابها بصفات محبوبته التي يعكسها لنا عبر استخدام الدقيق للمفردات اذ يستخدم الفعل رشقت .

وابن الزقاق بعد ان حدد الصفة اللونية صفة عامة يؤكد رسم اجزاء صورته :

ولثمت من خدي اغر مهفهفٍ شفقين حف سناهما بمصباح

يؤكد على صفة البياض الذي امتازت به وجعل من)شفقين (كناية عن احمرار وجنتيها قيمة لونية تعكس قوة الاشارة والتوهج الذي يحسه تجاهها ويكشف رغبته الجنسية اذ ن قيمته الدلالية تعني حرارة العاطفة والحب الملتهب فضلاً عن ان موقع اللون الاحمر وسط الابيض الناصع يجعله جمرة متوهجة قد احبطت بسن النار دهور ما بينه ابن الزقاق بقوله)حف سناهما (وليؤكد كذلك من خلال هذه العبارة قيمة البياض للمراة وترسيخها في الصور.

ثم يكون صورة اخرى يبين من خلالها تكرار ما بداة من اضفاء صفة البياض المشع المقترن بالنور محبوبته ان البياض فضلاً عن كونه قيمة جمالية يرمز بها الى الجمال الوجه عند النساء فهو صفة مثالية اعتاد الشعراء العرب ان يضفوها على المراة ولعل الابيض من الصق السياقات بوصف المراة ذلك ان هذا اللون عرف باجواء الصفاء والاشراق والحب

وليل طرقت الخدر فيه وللوجى عباب تـــــراه بالكواكب مزيـــــداً

اجاذب عطف المالكية تحتـــه واسحب من ضا في العفاف له بردا

ويذكر ان الزقاق الليل في موطن الاسراء والقاء الاحباب فيه فيبين من خلاله اجزاء صورته ليجعل فيها اكثر دلالة لونية تمنح تكوين الصورة قيمتها المتكاملة واول ما يؤكد ذلك هو تناثر النجوم وازدحامها في السماء الصافية لتكون ازاهيراً تزينه وترسم بكثافتها وانتشارها ولونها الابيض المصفر الامل والضياء في حلكة الليل وسواده.

وكذلك يشير ابن الزقاق في استخدام اللون الاسود مكرراً في قصيدته مومعتبراً في مكانه ودلالته في الصورة وعي المتلقي متجاوزاً الابنية التي ترسمها دلالة الاسود في الصورة :

تعمت بها والليل اسود فاحم يغازل منها الاسود الفاحم الجمدا

استخدم اللون الاسود بصفته فاحم مرتين الاولى في رسم صورة الليل الذي يحمل فيه الاسود الغموض في اخفاء معالم الحياة التي تدور معه فهو كابوس لوني يعتم على ما في الوجود نفسية دالة بصرية تختلف في دلالتها الاولى فيحمل القيمة الجمالية التي يرسم من خلالها ايقاعاً بصرياً يجعل من المتلقي يرسم صورة ذهنية يجمع بين موافقة اللون في الصورتين الاسود وتضاد دلالته، وكذلك ليحمل السواد قيمة ضدية ايجابية للون الابيض، فضلاً عن قيمته التشكيلية اظهر بها الشاعر جمال وجه حبيبته وجمال النجوم وانتشارها في السماء.

ومرتجة الاعطاف مخطفة الحشا .تميل كما مال النزيف من السكر

بذلت لها من ادمع العين جوهراً وقد ما حكاها في الصيانة والستر

وقالت وابدت مثله اذ تبسمت غنيت بهذا الدر عن ذلك الدر

وانما احدث ذلك ابن الزقاق من خلال تعبيره لدلالة اللون الابيض في القصيدة لتكون موافقة للسياق فحدد في هذه القصيدة دلالة الابيض الاولى قد ارتبطت بالارث الشعري في تشبه اسنان المراة في بياضها وانتظامها بعقد اللؤلؤ والدر.

لتشكل مع باقي صفات المراة الجسدية صورة متكاملة تقنع احساس الشاعر وترضي رغبته في تكون الصورة الجميلة للمراة اما الدلالة الثانية دلالة سلبية تمثلت في اظهار الضعف وسلب الارادة من الشاعر امام المراة وكذلك في قوله :

بذلن لها من ادمع العين جوهرا، في حين اعطى دلالة القوة والسيطرة للمراة باستخدام اللون نفسه في قوله :غنيت بهذا الدر عن ذلك الدر